

مناهل العرفان في علوم القرآن

ومن هذا الورع البالغ والحذر الدقيق تحرج كثير من أكابر الصحابة عن الرواية والتحديث فلم يسمع منهم إلا النزر اليسير مع أن لديهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم الغمر الكثير . يحدث ابن الزبير B فيقول قلت لأبي ما لي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان فقال أما إنني لم أفارقه منذ أسلمت ولكني سمعته يقول من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار .

رواه البخاري وأبو داود .

وإذا كان هذا مظهرا من مظاهر حذرهم واحتياطهم للسنن النبوية فماذا تقدر من مظاهر حذرهم واحتياطهم لكتاب الله صلى الله عليه وسلم العزيز إنني أعتقد أنك إذا رجعت إلى أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف تشاهد العجب العاجب من روائع هذه المظاهر . فهذا عمر يأخذ بخناق هشام بن حكيم ويسوقه إلى النبي وما نغم عليه إلا أنه قرأ سورة الفرقان على وجه لم يقرأه عمر ولم يكن يعرف عمر أنه هكذا نزل ولم يرسل عمر هشاما حتى انتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره الرسول أن يرسله ثم استقرأهما E وقال في قراءة كليهما هكذا أنزلت .

وقال إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه هذا ملخص ما كان بين عمر وهشام ومثل ذلك وقع من أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وغيرهما مع أصحابهم مما تعرضه عليك الروايات المبسطة هناك في هذا الموضوع .

أضف إلى هذا تلك الدقة البالغة التي أجملناها لك في دستور أبي بكر ودستور عثمان B هما في جمع القرآن بالصحف والمصاحف وهي على مقربة منك . فارجع إليها إن شئت .

ويشبه هذين الدستورين في جمع القرآن دستور أبي بكر في حماية السنة والحيطة لها والتثبت منها إذ جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الأمر ثم انتهوا إلى اتباع ما يأتي . أن ينظروا في خبر الواحد نظرة فاحصة يعرضونه على كتاب الله تعالى وما تواتر أو اشتهر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن خالف شيئا منها زيفوه وردوه وإن لم يخالف نظروا نظرة ثانية فيمن جاء به فلا يقبلون إلا ممن عرف بالعدالة والضبط والصدق والتحري وإلا طالبوه بالتزكية من طريق آخر يشهد معه ويروي ما رواه وبرغم هذا وذاك فقد التزموا التقليل من الرواية لأن الإكثار مظنة الخطأ ومثار الاشتباه .

نعم حداهم ورعهم وشدة خوفهم من الله صلى الله عليه وسلم أن يحصنوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدستور الدقيق

الرشيد القائم على رعاية هذه القواعد الثلاث النظر في الخبر والنظر في المخبر والإقلال من الرواية